الرد على مطالب الاقباط



(صاحب الدولة مصطفى رياض باشا رئيس المؤتمر المصري)

الرد على مطالب الاقباط

وهي

رسالة تشتمل على الحركة
القبطية من مبدإ ظهورها
وما على المسلمين من الواجبات
الدينية والوطنية والاجتماعية
تجاهها

﴿ بقلم احمد رفعت ﴾

(١٨ مارس سنة ١٩١١)

مطبعة المحروسة

﴿ الى المؤتمر الاسلامي المصري ﴾

نرفع هذه الرسالة الى المؤتمر الاسلامى المصرى آملين من دولة رئيسه وأصحاب السعادة والعزة اعضائه الاكرمين أن يلقوا بنظرة دقيقة خلال سطورها فاننا أنعمنا التفكير وافضنا البحث في صدد الخلاف القائم بقدر ما سمح لنا به الوقت .

﴿ الى الامة المصرية ﴾

دعانا الى وضع هذه الرسالة وطبعها ونشرها اولا لزوم جمع المعلومات الضرورية عن الاقباط ومركزهم الاجتماعى في مصر ، ثانيا ايراد اهم اعمال الاقباط التى قاموا بها لتنفيذ مقاصدهم واغراضهم . ثالثاً اظهار الحقيقة للامة المصرية مجردة من الاهواء والأغراض ، رابعاً ارشاد المؤتمرين المسلمين الى ما ربما يغيب عن افكارهم من المعلومات اللازمة في هذا المقام خامسا تدوين أثر تاريخي يرجع اليه وقت اللزوم

وبما أن هذه الرسالة صغيرة الحجم ويقتضي نشرها قبل التئام المؤتمر فلم يكن في الوسع اضفاء المقال والاستشهاد باقوال المؤرخين والاحصائيين الا لماما

﴿ من هو المصري ﴾

المصري كل من استوطن ارض مصر لا بقصد الاتجار واستجرار النفع ولا بقصد الاستئمان على نفسه وذويه بل لمجرد حب مصر واتخاذها وطناً ثابتاً له سواء كان من نسل الفراعنة الاقدمين أو من بقايا الفرس واليونان أو الرومان أو العرب او الاكراد أو الشراكسة أو الاتراك او من الفرنسيين على شرط أن يكون هذا الملتحق بالجنسية المصرية قاطعاً كل صلة اخرى بكل بلاد سوى مصر وان يكون واقفاً دمه وماله على الدفاع عن حريتها واستقلالها

﴿ ما هو الوطن ﴾

الوطن هو البقعة أو البلدة أو القطر او المملكة التي تجمع قوماً مشتركين في مرافق الحياة وقد تكون اللغة من مميزات الوحدة الوطنية أيضاً

وعلى ذلك فكل الذين يعيشون في وادي النيل ممتزجين في المعاملات والمرافق الحيوية مشتركين في المصالح العامة هم وطنيون لبعضهم ما للبعض الآخر من الحقوق وعليهم ما على الآخرين من الواجبات . وكل من أخل بشرط من هذه

الشروط فهو خائن للوطن .

ولا تفاضل في الوطنية الا بشدة الاخلاص للوطن وبالتسابق في ايثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة

﴿ من هم الاقباط ﴾

كلما نطق فرد من المسلمين بكلمة قال الاقباط انتم دخلاء ونحن أصحاب البلاد وابناء الفراعنة الاقدمين

وما الفخر بالعظم الرميم وانما
فخار الذي يرجو الفخار بنفسه

والحقيقة ان الاقباط بشهادة كبار المؤرخين وفي مقدمتهم العلامة الاثري ماسبرو خليط من اساري الحروب الذين كانوا يستعبدون ويذللون ومن بقايا الفرس واليونان والرومان . على ان اختلاط تلك الامم الفاتحة بالمصريين كاف وحده لجعل العنصر القبطي مزيجا من الامشاج الاجنبية فهم والمسلمون في هذه الحالة سواء ولا فضل في عراقة الاصل الا للفاتحين المعروفة اروماتهم المجيدة

﴿ من هم المسلمون ﴾

هم اولئك الغزاة الفاتحون الذين تغلبوا على هذه البلاد

دولة فاخري منذ اكثر من ١٣٠٠ سنة واذ كان من المبادىء الاسلامية أن لاجنسية في الاسلام فهم اذن جميعاً اخوان والقطر المصري وطنهم العزيز المفدي بالارواح والأموال ·
وقد حافظ المسلمون على مصر واعتبروها من صلب الاسلام فهم لن يفرطوا فيها وان يزول ظل الاسلام من أرضها حتى تعود الارض اثيراً مائجاً في الفضاء

﴿ عناية الاسلام بالاقباط ﴾

اهدي المقوقس الى النبي صلى الله عليه وسلام هدايا بينها جارية اسمها مارية القبطية فتزوجها النبي وأولدها ابراهيم عليه السلام فاوصى الرسول حينئذ خيراً بالاقباط

وفي خلافة عمر فتح المسلمون مصر على يد عمرو بن العاص فعملوا بامر النبي ولم يسيئوا الى احد منهم بل خيروهم بعد أن وضعت الحرب اوزارها بين أعتناق الاسلام أودفع جزية معلومة فاسلم من هداه الله ودفع الجزية من اصر على التمسك بدينه . وبقى الاقباط أحرارا آمنين على انفسهم واعراضهم واموالهم

وما زال الإقباط في رفاه ورغد حتي استوزر بعض ملوك

مصر في الصدر الاول وزيرا منهم فارهق الناس والبلاد بالمظالم وقرب اليه ابناء طائفته فضج المسلمون من تحكمه وجوره ورفع بعضهم الامر الى الملك حتى اذا ما علم بالحقيقة اسقطه من شاهق مجده

ولبثت الاقباط بعد ذلك في امان حتى أيام الحاكم بامر الله الذي استطال عليهم وانزل بهم الحيف . ولكن الحاكم بامر الله لم يرض المسلمين ايضاً فمقته الناس وقتل في آخر الامر من شدة ظلمه وجبروته . فلا يقال أن ما أصاب الاقباط في مدته صادر من المسلمين لان هذا الملك تأله فهو ليس بمسلم

ولما جاء رأس الاسرة العلوية الى هذه البلاد ادنى الاقباط منه ورفع مراتبهم وأجزل الاعطية لهم واختصهم باعمال الكتابة والحساب فابتدأ نفوذهم يزداد واموالهم تربو حتى جاء اسماعيل فاستكثر منهم في وظائف الحكومة وفي اشغاله الخاصة .

كل هذا يؤيد ان الاسلام راعى الاقباط وأعزهم وآواهم الى حضنه وحماهم من كل سوء واعتداء

﴿ بعد الثورة العرابية ﴾

حين شبت نار الثورة العرابية وأخذ فريق العصاة يضرب في طول البلاد وعرضها سعياً وراء الحصول على الاموال كان الاقباط أقل من أصابهم الضيم . فلما هاجت العامة على المسيحيين باغراء ودسائس ذوي المآرب الاستعمارية وفتكت بأناس منهم تصدى عقلاء المسلمين وذوو الوجاهة منهم لحماية الاقباط ومع ذلك فما أصيب الاقباط الذين لم يحمهم أحد بأذى يستحق الذكر حتى انهم كانوا أقل الفئات المسيحية الموجودة اذ ذاك في القطر المصري شعوراً بالضرر من تلك الثورة .

ولكن ما كادت اقدام الانجليز تستتب في القاهرة حتى غمرت لجة السرور سائر الاقباط واقاموا الولائم والحفلات ولكي يميزوا انفسهم عن المسلمين امام الانجليز المسيحيين مثلهم عمدوا الى نقش الصليب على ايديهم بالوشم . ومن هنا يتبين ان الاقباط متعصبون حقيقة . ولم يكن وشم الصليب على الايدي قبل هذا التاريخ معروفاً عند السواد الاعظم منهم

﴿ انخداع الانجليز ﴾

ورأى الانجليز من الاقباط المستخدمين في دوائر الحكومة تعلقا بهم وخضوعاً لهم فرقوا كثيرين منهم وادنوهم اليهم . ولكنهم كانوا كلما ازدادوا احتكاكا بهم وخبرة بدخائلهم قلت ثقتهم بهم حتى توظف جناب السير الدون غورست المعتمد البريطاني الحالي مستشارا للداخلية فوقف على أخلاقهم ومداجاتهم فأعرض عنهم واشتهر اذ ذاك بأنه لا يحب الاقباط .

﴿ ابتداء ظهور الاقباط ﴾

أول ما ارتفع للاقباط صوت كان يوم قيامهم على غبطة البطريرك الحالى وحدوث شقاق في الطائفة القطبية أدى الى تداخل بطرس غالي باشا واستعماله نفوذه لدى الانجليز ولدى الامير حتى تمكن من عزل البطريرك ونفيه

وبعد هذا الحادث ظهرت اعمال المجالس الملية واشتم الاقباط رائحة الظهور والاشتهار

﴿ المطالبة الاولى ﴾

ليس أمامنا متسع الآن لذكر أول تاريخ طالب فيه

الاقباط بالمطالب التي ملأوا جوانب القطر بها صياحاً ولكننا نتذكر أنهم حوالى سنة ١٨٩٦ قاموا يطالبون باطلاق مدافع لهم وجعل تشريفة في أعيادهم وابطال أيام الآحاد واعطاء وظائف كبري لافراد منهم الى غير ذلك مما استخفت به الصحف في ذلك الوقت وعدته سخافة وحمقا . وقد أفاضت جريدة الاهالي التي كان يصدرها اذ ذاك سعادة اسماعيل باشا اباظه القول في هذا الصدد وكذلك فعلت جريدة المؤيد

ولما اخفقوا في مطالبهم سكنت ريحهم واخلدوا الى السكون مدة ما ثم ساروا ثانية وهبطوا مرة اخري ثم اخذت تعاودهم نوبات الحدة من مرة الى اخري وجريدتا الوطن ومصر تزيدان النار اشتعالا . ولما كثر صياحهم تنبه المرحوم مصطفى كامل باشا الذي لم يكن تفوته صغيرة ولا كبيرة بدون أن يعيرها حقها من العناية ودقق البحث في مطالب الاقباط فوجدهم قد غلبوا المسلمين على امورهم في اغلب وظائف الحكومة ورآهم يتآمرون على بيع البلاد صفقة خاسرة غير حاسبين انهم خاسرون على كل حال لانهم بعد سقوط البلاد سقوطا نهائياً في أيدي المحتلين يصبحون بلا شك كما

مهملا وينفذ فيهم ما ينفذ في مواطنيهم المسلمين على السواء هنا لك اثار المرحوم مصطفى كامل باشا عليهم حرباً عواناً وكتب أناس من موظفي السكة الحديد على الخصوص يبينون الميزة التي للاقباط في تلك المصلحة بمسعى اسكندر باشا فهمي والغبن اللاحق بالمسلمين فيها .

واذ كان لورد كرومر شديد التعصب للمسيحية فقد حمى الاقباط وساعدهم على التكاثر في سائر دوائر الحكومة

وبعد حملة مصطفى كامل باشا رأى فريق من شبان المسلمين ومن شبان الاقباط أن يتصافوا ويزيلوا سوء التفاهم الحادث بين العنصرين فاجتمعوا في حديقة الازبكية والقى كثيرون من الادباء خطباً سلمية وطنية كان لها اعظم تأثير في النفوس ولا سيما ما فاه بها حضرات لطفي افندي جمعه وتوفيق افندي حبيب وتوفيق افندي عزوز

﴿ متعصبون بشهادتهم ﴾

مما لا شك فيه ان الاقباط أشد خلق الله تعصباً لدينهم وجنسهم ولكنهم لا يريدون الاعتراف بهذا الامر المشاهد من الوقائع اليومية ولكي ينفوا عن انفسهم هذا الامر عمدوا

الى الاكثار من نسبة المسلمين الى التعصب فلا تخلو جريدتا مصر والوطن يوماً من نسبة المصريين عامة والحزب الوطني خاصة الى التعصب الاعمى ولا دليل لهم على مايقولون سوى الصياح وترديد جمل لاكتها الالسنة وفرتها أسنة الاقلام على أن الايام أرادت أن تكاشف القناع عن وجه الحقيقة فوقف الشاب الأديب توفيق أفندي حبيب في ذلك الاجتماع السلمي الذي حدث في حديقة الازبكية يشرح للمسلمين كيف يلقن القساوسة والآباء احداث الاقباط كره المسلمين وحفظ الضغينة عليهم في الصدور . فهاج الاقباط اذ ذاك وقالوا «كذاب» ولكنه صادق وما اراد الا حمل أبناء طائفته على ترك الحقد القديم لتصفو القلوب وتتفق الافكار على توحيد المصلحة العامة .

حدثني احدهم قال ان آبائنا وامهاتنا اذا ارادوا ان ينهوا أحد احداثنا من تلويث ثيابه وتوسيخ نفسه قالوا له : « انت تريد ان تكون وسخاً كاولاد المسلمين » والله يعلم والناس تشهد من هم القذرون ولكن للتعصب غشاوة تحجب نور الحقيقة عن عيون المتعصبين

﴿ المطالبه الثانية ﴾

وبعد ان استترت جذوة حقدهم عادت الى الاشتعال ثانية يوم تعين شكر الله بك جادالله حكمداراً فان بعض الصحف الاسلامية خاضت في أمر هذا التعيين فنجم عن ذلك هياج الجريدتين القبطيتين ثانية وما زالتا في شغب وارغاء حتى كادتا تعودان الى السكوت لولا ان هب شاب من ناشيء الاقباط اسمه فريدافندى كامل فكتب في جريدة الوطن مقاله شديدة اللهجة ينسب فيها الاسلام الى التوحش والهمجية

هنا استفزت عزة النفس وحب العقيدة حضرة الاستاذ العالم الشيخ عبد العزيز شاويش الى الرد على الجريدتين المذكورتين بوجه عام وعلى كاتب الرسالة بوجه خاص

وهذا نص مقالة فريد أفندي كامل

﴿ الانسانية تتعذب ﴾

مرت دهور وكرت أحقاب والظلم سائد في العالم والعبودية متحكمة في الاعناق والناس يئنون من نير الخسف والاسترقاق حتى في ظل المدنية وتحت ستار الحضارة وفي نفس بلاد العلم

والنور وباسم القوانين والنظامات الدستورية وبذلك فسدت الاديان وطمست الحقائق وديست العدالة بالاقدام ولم تبق من آثار الشرف والنزاهة الا الرسوم والاطلال

اضرب ببصرك ايها القاويء في قلب هذه الكرة تر الخلائق البشرية وقد كادت تنقلب الى وحوش ضارية مفترسة تنهش اللحم وتسحق العظم تر ان القوة هى الشريعة وهي القانون . وكل ما اتي عن طريق هذه القوة ان كان جوراً سمي عدلا وان كان زوراً دعي حقاً وان كان غصبا سمي فتحاً وغلبة وان كان دناءة دعي براعة وقس عليها

وليس هذا العصر بأخف وطأة من عصر الاسكندر ولا بأقل جرماً من عهد نيرون ولا هو يختلف فظاعة و نكرا عن عصر ديوقيلتيانوس أو عصور الذين تقدموا والذين تأخروا فالضعيف ما زال مستباحاً للقوي والامم لم تشبع الى الآن من أكل لحوم الامم وامتصاص دمائها بطرق كثيرة وأشكال شتى تموهها بشيء من طلاء الخديعة والنفاق وتغطيها بقشور رقيقة من الكذب والبهتان وتغشيها بطبقة شفافة من الفلسفة الباطلة والسفسطة الفارغه

فاذا رجعت الي تاريخ الاسلام في عهد زهوه وعزه وعظمته ومجده واردت ان تستخرج من الدفائن المكتومة سر ذلك اللغز الخالى وسبب تلك العظمة البالية وكشفت بواطن الرجال الذين قاموا بالفتوحات واطلعت على دخائل وخفايا القلوب والسرائر في تلك الايام الماضيات لعرفت ان الأثرة هي التي اراقت الدماء وان الانانية هي التي ازهقت الارواح فطوحت بالمهج الغالية في هوة البوار وأدركت ان الاعتزاز بالقوة والاستهتار بالضعف هما الحجران اللذان بني عليهما ما يسمونه مجد الاسلام

ولا شك ان دول اوربا المسيحية ومملكة اليابان الوثنية هي ايضاً تعمل عمل الاسلام في هذه الايام فتسطو كل منها على الامم الضعيفة وتنزع منها نعمة استقلالها بدعوى انها تريد ان تجود عليها ببركة المدنية فلا تلبث قليلا حتى تحكم قدمها في الرقاب وتنشب في احشائها الاظفار والانياب ثم تأخذ في اضعاف ملكاتها وافناء قواها واجلاء فضائلها واخلاء رؤوس الناشئين فيها من المواهب العقلية الي آخر ذلك من وسائل الاستعباد التي لا يدفعها اليها في الحقيقة الا حب

السلطة وعشق السيطرة والميل الى اذلال العباد

والاجتماع سواء في الشرق أو الغرب ملآن من وجوه الظلم المدسوسة فيه دسا ومفعم بالمبادىء الفاسدة التي قامت في الاصل على قواعد غاشمة جائرة ونظامات قاسية صارمة وضعها اعوان الشر وأعداء الخير في العصور المظلمة حتى يبيدوا بواسطتها الضعفاء ويمحوا أثرهم من الارض فلا يعيش فوقها الا هم ولا يتنعم بلذائذها سواهم

ومن الغريب ان تجد هذه المبادىء أناسا من الضعفاء أنفسهم يتطوعون لتأييدها ويساعدون الاقوياء على بقائها وهم لا يشعرون انهم بذلك يؤذون ذواتهم ويضيفون على النير ثقلا فوق أعناقهم بل هم يعملون بايديهم على فنائهم — اولئك قوم لا يخجلون وهم ضعفاء اذلاء من ان يقولوا للضعيف : يجب ان تعيش ضعيفاً ، لا يستحون وهم يدعون انهم احياء أن يقولوا لمن تدب فيه روح الحياة انتحر يا هذا لان الحياة ليست لمثلك ولانك لم تخلق للحياة اؤلئك قوم يزعمون باطلا انهم قائمون لتحرير أنفسهم بينما هم يريدون ان يبقى اخوانهم عبيدا الى الابد . يقولون انهم

يعضدون العلم وينسون أن العلم هو الذي يشعل في الافراد نار البغض لتلك الحواجز الاجتماعية التي يحافظون عليها محافظة البخيل على درهمه

أجل يجب ان نتعلم لكي نشعر باننا ضعفاء يجب ان نتعلم لكي نعرف اننا مظلومون يجب أن نتعلم لكي نعرف كيف نرفع أصواتنا في وجه الظلم . يجب أن نتعلم لكي ندافع عن الحق وتأبى نفوسنا الضيم ، لكي نطلب العدل والمساواة بين الناس في الحقوق الطبيعية وفي النهاية لكي نموت أعزاء شرفاء ولا نعيش جبناء أذلاء — هنالك في ذلك الميدان الفسيح : ميدان العلم والرقي الادبي ليقف كل مصري متعلم وليصح في وجه اولئك المتطوعين لنصرة المبادىء الظالمة التي تشوه الوجه الاجتماعي السعيد قائلا : لتحي العدالة ليحي الاخاء ، لتحي المساواه . لتمت التميز ، وليقبر التفضيل والتخصيص فكأنما بشر لنا الارض ملك مشاع ولنا الهواء والماء والسماء

لينصعق اولئك المخالفون فكفاهم تعذيباً للانسانيه ، كفاهم تمزيقاً لجسمها : كفاهم ما أنزلوه عليها من مجالدهم الجهنمية . وليسقط المنافقون والمكابرون

وهذا نص المقال الذي رد به الاستاذ الشيخ عبد العزيز شاويش :

﴿ الاسلام غريب في بلاده ﴾

أتت جريدة الوطن أول أمس بجريرة عظيمة ضاعفت بها سخط الناس عليها فلقد لوثت في ذلك اليوم صفحاتها بما اعتادت ان تلوث به وجهها كل يوم من قاذورات المطاعن وادران المثالب . جاءت بتلك المقالة لذلك الكتيب الذي شهر بنفسه كل التشهير لما سجل عليها من الجهل بالتاريخ والكفران بنعمة الاسلام عليه وعلى اسلافه اذ لو كان الاسلام على ما جاء في تلك المقالة ماسمح لفريد كامل وصاحب الوطن ان يتنقلا من أصلاب الى ارحام حتى ظهرا في هذا الزمن بارواح شيطانية وتقمصتها أجسام بشرية

انتشلكما الاسلام ايها الجاهلان من ايدي الروم بعد أن عبدوكما القرون العديدة وانتما كالانعام تتداولكما الايدي بالاستخدام والالسن بالسب والأرجل بالضرب

رميتم بانفسكم في احضان الاسلام فحقن دماءكم واستحيي نساءكم وأولادكم وذاد عن حياضكم ولو كان الاسلام كما ذكرتم

لسحقكم سحقاً ومحقكم محقا ولنرى بقايا رفاتكم في الهواء وطهر الارض المصرية من طلعتكم السوداء ولاستأصل السنتكم فلا تنطقون وقرى أصابعكم فلا تكتبون ولكن قبلتم عهده فآوا كم وأخذتم بذمته فايدكم بنصره والحقكم باهله اذجعل لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ثم اباح لكم أن تتولوا تدبير احكامهم والقضاء فيما بينكم الا اذا تراضيتم أن ترفعوا بعض شأنكم الينا مختارين أحكامنا راضين قضاءنا فكيف اذن (تتعذب الانسانية) كما تقولون ايها الاغبياء بين اناس ذلك دينهم الذين يدينون له وشرعهم الذي يعلمون به ؟؟

اقمتم في احضان الاسلام زهاء ثلاثة عشر قرنا يعالكم وينميكم حتى ازداد عددكم وامتلأت بالمال خزائنكم ولو كنتم عشتم ربع ذلك الزمن مع الانجليز لا لحقوكم الجنس الاحمر في أمريكا والصنف الاسمر في أوستراليا فكنتم اليوم كالحيوانات العجم في الفيافي والقفار ترعون الكلاء وتأوون الى الكهوف . ولو كنتم من رعايا الملك ليوبولد في بلاد الكونغو لاتخذ من شعوركم حبالا ومن جلودكم نعالا وازق أجسامكم بالسياط وانتم ترسفون في الاغلال وتنؤون بالاحمال

الثقال . ولو كنتم من أهل ايرلندا لنبذكم الانجليز نبذ الحذاء الخلق ولا خرجوكم من دياركم مهينين مقهورين

عشنا في هذه البلاد دهرا طويلا فكنا كما شاء لنا الاسلام اخوانًا في الوطنية شركاء في المرافق الحيوية نتجاور ونتزاور ونتشاور ونتسامر ونتعاشر ونتناصر فما الذي بدل شؤونكم وجعلكم غير ما كنتم ؟ لعلكم رأيتم المحتالين على دينكم فاردتم ان تبيعوا منهم بلادكم وذممكم وتلقوا بايديكم اليهم ليقطعوا تلك الاوصال التي ارتبطنا بها القرون العديدة . كذلك فليفعل الخونة المارقون

علت صيحتكم حتى بلغت عنان السماء تريدون التسوية في المناصب العالية الادارية وتقولون ان الاسلام هو الذي ذللكم وعبدكم وحرمكم من تلك المراكز السامية ثم تبجحتم فوصفتم المسلمين بالضعف والذلة والمسكنة ثم هددتموهم ان قد آن أوان القصاص منهم . عجباً لكم جهلتم الاسلام فعذرناكم ثم احتقرتم المسلمين وهم في بلادهم كالاسد الرابض الذي ما أقعده عن الوثوب الا علمه ان صيحتكم وجلبتكم هذه ان هي الا كطنين الذباب في آذان الفيلة لا تؤلم سمعاً ولا تزعج نفساً . وما عجبي من

جهلكم الاسلام وتاريخ مجده بأكثر من عجبي من جهلكم قوانين هذه البلاد وأحكامها . ارجعوا الى القوانين المصرية على مختلف أنواعها وموضوعاتها مدنيها وجنائيها وتجاريها فلن تجدونها خصت بشيء من أحكامها فريقاً دون فريق أو ديناً دون دين ثم انظروا الى القانون الذي وضعته الحكومة في عهد صاحب الدولة رياض باشا تجدوه قد شرط فيمن تستخدمه الحكومة ان يكون مصري الجنس . فالجنسية المصرية هي الشرط الذي لا بد منه في شغل وظائف الحكومة نعم ان هناك مناصب في دوائر الحكومة لا يمكن غير المسلم ان يشغلها فهذه لا تزال في أيدي المسلمين ولن تزال خاصة بهم مقصورة عليهم ولو فتحتم افواهكم بالصياح حتى بلغتم بفككم الاعلى السماء وبالفك الاسفل مواطيء النعال من الارض . فاذا كان ذلك هو شأن الاسلام الذي كفرتم بنعمته بعد أن آواكم وأيدكم بنصره واذا كانت هذه هي قوانين البلاد الوضعية التي جهلتموها ذلك الجهل الفاضح فويل لكل أفاك أثيم حقير مهين يملأ الفضاء بنقيق الضفادع والاسماع بأصوات النوائح ممن جمع بين آدم في شكله وبين ابليس في

خداعه وفعله

ان الاحزاب الذي كذبتم عليها لم تتكلم في مسألة تقرير المبدإ الذي أطلتم الكلام فيه الا بما صرحت به غير مرة . ذلك ان للحكومة نظاماً سبق لنا ذكره هنا قد سارت عليه عدة سنين فارجعوا اليه وحملقوا الى قوانينه واسألوا العقلاء الذين يفهمون والجهلاء الذين لا يعقلون ، سلوا الاطفال في كتاتيبها ، والباعة في حوانيتها ، سلوا البقر في زرائبها والخيل في اصطبلاتها ، سلوا جميع أولئك فانهم سيتلون عليكم من قوانين البلاد وأحكامها ما يخرس ألسنتكم ويغل أيديكم ويخجلكم ان كنتم ممن يخجلون . ما هو الظفر المبين الذي ظفرت به مصر والوطن وفريد كامل وما هو الفوز العظيم الذي فازوا به بعد تلك القعقعة والجعجعة الفارغة ؟ اللهم انهم ما فازوا الا بأن بحت أصواتهم وفضحت مقاصدهم اذ سجلوا على أنفسهم ان همهم وقصارى أمانيهم أن تشتري الحكومة أنفسهم وذممهم بدراهم زهيدة وان يعيشوا عبدة هذه الحكومة التي هي آلة في أيدي الانجليز يديرونها كيف شاءوا

نرى الانجليز لا يكادون يرفعون الى ما يسمونه

بالمناصب العالية الا الذين يطيعون او امر ضباط أو يأتمرون باشاراتهم وبمقدار حظ الشخص منها يكون نصيبه من الرقي عندهم ·
فاذا كان هذا هو الحال في دوائر الحكومة فبل من الشيم الكريمة والهمم العالية ان يتكالب الناس على طلب وظائفها وان يمدوا اليها أعناقهم لتضع فيها الاطواق وأيديهم وأرجلهم لتثقلهم بالاغلال ؟

تقول جريدة الوطن انها تتجاوز عن كيت وكيت وتصفح عن هذا وذاك فليت شعري ماذا يصيب العالم اذا هي لم تجاوز ولم تصفح أتسقط الزرقاء على الغبراء ؟ أتمور السماء ؟ أتسير الجبال عن مستقرها ؟ أتزلزل الارض ؟

لقد احتبس اللواء قلمه عن الكتابة في تلك الموضوعات التافهة الساقطة زمناً طويلا لعلمه انه ما بقي الاحتلال في بلادنا يعبث بحقوقنا ويغير في قوانيننا ويتلاعب بمقاصدنا ويذري في عواصف اغراضه اموالنا فلا خير في كثير من وظائف الحكومة ولا رجاء لاستقامة شؤونها ·

سكت اللواء طويلا ولكن صاحب الوطن أراق ماء وجهه وفسق عن آداب بلاده ونشر ذلك الطعن الذي أثار

نفوس المسلمين وزحزح الحلم عن مواقعه من أفئدتها حتى اضطر كثيرين منهم ان يرفعوا الامر الى الحكومة المصرية لتحاكم صاحب الوطن وفريد كامل الاول على ما نشر والثاني على ما كتب طبقا للمادتين ١٣٩ و١٥٣ (عقوبات) وكيف يسب هذان الحقيران دين الحكومة المصرية ؛ دين سلطانها الاعظم وخديوها المفخم ، دين الحق ، دين العدل ، دين التسامح والمساواة . حملكما على هذا التعصب المقوت والجرأة على اخوانكما المسلمين أحكام دينهم وسماحة أخلاقهم وأنتما تعلمان أنهم لو شاءوا لنسفوكما نسفا ولما أبقوا منكما عينا ولا أثرا

حملكم على ذلك سكوتهم وهم اكثر المصريين عددا واوفرهم قسطا من كل شيء فهم اوسع ثروة واثقل حملا من الضرائب الاميرية واقل نصيبا من وظائف الحكومة كما أنهم انداهم كفا واعفهم نفسا واقواهم قلبا واكثرهم صراحة وأصدقهم قولا

حملكم على ذلك انهم الحاملون السلاح الحامون الذمار الجائدون بأرواحهم الثمينة في الدفاع عن هذه البلاد الفاتحون

للسودان المشنتون بين هضابها ووهادها المكتوون بلهيب حرها الملدوغون بقوارس بردها المعرضون لجوائحها

اخسأا ايها المستهتران فان امامكما لحساباً ان اغفلته الحكومة فان من ورائه احد عشر مليوناً من المسلمين لا يفرطون فيه ولا يغفلون عنه

وها نحن اولئك قد نبهنا الحكومة الى واجباتها وذكرنلها بقانونها وحذرناها عاقبة التلكؤ والتباطؤ فان عليها من المسلمين جميعهم لرقيبا وكفى به حسيبا

ومع ان هذه المقالة مصوغة في قالب موجه الى كاتب المقاله التي نشرت في الوطن والى تلكما الجريدتين فقد هاج الاقباط وماجوا واعتبروها موجهة اليهم جميعاً وظهرت العداوة اذ ذاك في اجلى مظاهرها

﴿ المطالبة الاخيرة ﴾

وظلوا من ذلك الحين في جلبة وصياح ينادون ولا من مجيب ويستغيثون ولا من مغيث لانهم في الحقيقة طلاب شقاق لا مطالبون بحقوق حتى اذا جاء الصيف الماضي أوفد الاقباط الى لوندره فذهب يتلطم على ابواب الصحف قرياقص افندي

وكنائس القساوسة وبيوت بعض النواب متطلبا منهم عضدة ونصيرا وبعد ان قدمت مطالب الاقباط الى سير ادوارد جراي حولها على سير الدون غورست الذي أجاب عنها بأنها بعيدة عن منال الحقيقة بمراحل

ورأى سمو الخديوي أن يضع حدا لهياج الاقباط الذي زاد بعد مقتل بطرس باشا غالي عميدهم الذي كان يساعد كل عاطل جاهل منهم على الانخراط في سلك وظائف الحكومة ولو بوظيفة فراش فدعاهم سموه الى السكينة ليتمكن من فحص مطالبهم والتحقق مما اذا كان فيها ما هو معقول وقابل للتنفيذ فظنوا في الحال ان سمو الامير أجابهم الى سؤلهم وما هي الا عشية أو ضحاها حتى يصبح الاحد يوم العطلة الاسبوعية الرسمي وحتى يصير نصف المديرين ووكلاء المديريات ونصف النظار ووكلاء النظارات منهم . فاخذوا حينئذ يشايعون الحزب الوطني ويتطلبون الانضمام اليه .

﴿ ايدي الدسائس والتفريق ﴾

فرحت الصحف الاسلامية باعتدال رصيفاتها القبطية وفتح المسلمون صدورهم لمواطنيهم الاقباط وكادت السكينة

تستتب في ربوع النيل ولو شهراً واحداً . ولكن الصحف الاحتلالية وفي مقدمتها الاجبشان جازيت اخذت تعير الاقباط بخنوعهم واستكانتهم . وطفقت جريدة البورس اجبسيان تكتب مقالات تحت امضاء وجيه قبطي وكل كلمة منها تدعوا الى التفريق فعادت الجريدتان القبطيتان الى التحرش بالمسلمين والمناداة بالمطالب المزعومة . واذا بالنار مستترة تحت الرماد والاقباط يعملون في الخفاء لعقد مؤتمر سري في أسيوط

التعصب الاعمى

عقد ذلك المؤتمر في يوم ٦ مارس سنة ١٩١١ واجتمع فيه ١١٥٨ نفساً نائبين عن ١٠٨٥٠ قبطياً وصلى بالمجتمعين مطران أسيوط فظهر ان الاجتماع ديني بحت ودارت رحى الخطب على نصوص الاناجيل وكان الحاضرون يوافقون بالاجماع او بالاغلبية العظمى على المطالب بدون مناقشة . فاستخلصنا من كل ذلك ان الاقباط عن بكرة ابيهم متعصبون تعصباً اعمى وانه اذا وجد بينهم افراد يعدون على الاصابع مشهورون او من باب اولى متظاهرون بالتسامح والاعتدال

في الفكر فهؤلاء لا يمكن الاستدلال بهم على حالة المجموع

ومن أغرب وأعجب آيات التعصب القبطي الاعمى انهم أبوا الا عقد مؤتمرهم في أسيوط حيث يجتمع أغنى الاقباط بها وحيث يمتصون أموال المسلمين بلا رحمة ولا اشفاق . ويزعمون فضلا عن ذلك ان أسيوط عاصمة الاقباط كأن هذه المدينة منعزلة عن القطر المصري وموجودة في شقة من الارض لا يشغلها سوي هؤلاء القوم فهم يحاولون العزلة عن مواطنيهم المسلمين في كل شيء حتى في المدن وهم يؤسسون في أوهامهم من الآن مملكة صعيدية مقرها أسيوط

﴿ أجلى مظاهر التعصب ﴾

لو كان الاقباط يتعصبون للوطنية او للجنسية المصرية لعذرناهم ومدحنا عملهم اما وهم يطرحون الوطن ظهريا ولا يحيئون بذكره الا عرضاً ومن قبيل دفع الظنون عنهم فلا سبيل لنا الى التساهل معهم ولا سيما اذا علمنا ان ارتباطهم السري يقضي على القسم الاكبر من الامة بالتزحزح من مراكز الحكومة شيئاً فشيئا حتى لا يبقى له منها الا النذر التافه . ولسنا الآن في موقف سرد ما جمعناه من المعلومات

في هذا الباب ولكننا نورد اشياء طفيفة منها . حدثنا بعضهم ان غبطة البطريرك في القاهرة واصحاب النيافة المطارنة والاساقفة في الاقاليم يسألون المصلين يوم الاحد عما اذا كان يوجد قبطي خال من الخدمة والعمل فاذا علم أحدهم بوجود فرد من الاقباط عاطلا تقدم به الى كبير من الموظفين الاقباط وقال له : أنت محروم حتى توجد خدمة لهذا القبطي .. وسلطة الرؤساء الروحيين لدى الاقباط ولا سيما فيما يختص بالحرم الكنائسي أمر مشهور جداً . فلا يمضي اسبوع على اكثر تقدير على ذلك القبطي العاطل حتى يشغل مكانا في الحكومة



﴿ اعمال بطرس باشا ﴾

واعمال بطرس غالي باشا في هذا الصدد اشهر من أن

تذكر ولكن لا بأس من ايراد حادثتين يمكن القياس عليهما.
أخبرنا أحد موظفي المالية ان بطرس باشا ارسل في أحد الايام رجلا فقيراً من الاقباط الى احد اقلام المالية وموظفوه من المسلمين ومع ذلك القبطى حاجبه وهو يرجو رئيس ذلك القلم وعماله أن يرحموا هذا المسكين ويوظفوه لاجل خاطره فانه توقع عليه وهو لا يريد أن يرده خائبا وكان قد اختير أحد المسلمين لهذه الخدمة فلم يسع عمال ذلك القلم سوى قبول رجاء الباشا الرئيس وتعيين محسوبه القبطى . ويوجد في نظارة الاشغال مهندس قبطي لا يزال في خدمته حتى الآن اراد رئيسه الانجليزي في احد الايام ان يفصله من وظيفته لعدم كفاءته فتوسل هذا المهندس ببطرس باشافسعى بنفسه الى نظارة الاشغال وقال لرؤسائها لديكم مهندس نشيط بارع اعرف بنفسي خبرته وعلمه حق المعرفة ولكنه مغبون في مرتبه ودرجته مع انه مثقل بأسرة كبيرة لا عائل لها سواه. فماذا حدث بعد ذلك ؟ مزقت المذكرة المقدمة بفصله من وظيفته وكتبت مذكرة اخرى بزيادة ثلاثة جنيهات شهريا على مرتبه !..

وهنا لك احاديث عجيبة مدهشة محزنة لا مجال لها هنا ولكنها تمثل في الذهن صورة واضحة من مبلغ كراهة الاقباط لنا نحن معشر المسلمين

﴿ مبلغ الحقد والبغضاء ﴾

روى لنا بعض من كانوا اصدقاءنا من الاقباط ان من جملة وصاياهم لبعضهم : « ان كان اصبعك مسلم اقطعه »

وكان لي صديق مسلم أجر الطابق الاسفل من بيته لبعض افراد من الشبيبة القبطية ليتخذوه محل اجتماع لهم . وحدث انهم تركوا باب قاعة الخطابة مفتوحة من باب الخطأ واتفق ان مر صديقي بجوار باب القاعة المفتوح فحسب اعضاء الجمعية موجودين في الداخل وان الواجب يقضي عليه بالسلام عليهم فولج القاعة ولكنه لم يجد بها احداً وانما وجد مائدة عليها اوراق فخشية ان تضيع ورقة منها رأى أن يجمعها ويحفظها في أحد ادراج المائدة . ولكن لاتسل عما ادركه من الذهول عند ما رأى في تلك الاوراق خطبا هائلة ترمي الى اضمار الكراهة والبغضاء للمسلمين واجلائهم من وظائف الحكومة وسب وتحقير عقائدهم الى غير ذلك مما ذكره لي

ذلك الصديق في اليوم الثاني من رؤيته هذه الاوراق . وقد غاب عن بالي الآن اسم هذه الجمعية ولكن ذلك الصديق لا يزال على قيد الحياة ولم يمض على تلك الحادثة اكثر من عامين

﴿ التئام المؤتمر ﴾

وبعد ان اختمرت روح الجفاء والعداء في نفوسهم ضد المسلمين ونشروا دعوة عامة لاجتماع مندوبين من اقباط القطر المصرى بأسره وانكشف سر هذه الدعوة بواسطة جريدة العلم أعدوا برنامجاً يتضمن مطالبهم وهي خمسة نذكرها هنا للرد عليها بعد الفراغ من الكلام على المؤتمر .

(١) مساواة جميع المصريين في احترام يوم الراحة الديني الذي يقضي عليهم عقائدهم الدينية باحترامه وبالتالي اعفاء موظفي الحكومة وطلبة المدارس المسيحيين من الاشتغال يوم الاحد

(٢) التعويل على الكفاءة دون سواها في ترشيح المصريين للوظائف العمومية بدون ان يكون هنالك دخل لاي اعتبار آخر وبالاخص بدون ذكر للنسبة العددية على الاطلاق

(٣) تشخيص جميع العناصر المصرية في جميع مجالسها

النيابية تشخيصا يضمن للجميع المدافعة عن حقوقهم والمحافظة عليها

(٤) تمتع الاقباط بجميع حقوق التعليم الاهلي الذي تقوم به الآن مجالس المديريات وتجبي لاجله ضريبة الخمسة في المائة من جميع المصريين

(٥) جعل خزانة الحكومة المصرية مصدراً للانفاق على جميع المرافق المصرية على السواء بدون فارق بين مورد ومورد الى غير ذلك مما يؤدي الى الوصول الى الغرض الاساسي الذي انعقدت الجمعية لاجله وهو المساواة والعدالة حتى يزول كل تفريق بين العناصر المصرية .

وبما ان التئام هذا المؤتمر في مدينة اسيوط يدل على ان الاقباط لهم مطالب وانهم مجموعون على المطالبة بها وقد سبق ان سير الدون غورست معتمد الدولة البريطانية في مصر صرح بأن الاقباط غير مهضومي الجانب وانهم متمتعون بكافة حقوقهم وان الذين يرفعون اصواتهم بالمطالب المزعومة هم افراد قلائل اما الوفاق فسائد بين العنصرين في الصعيد الذي يقطنه الاقباط بكثرة وانه رأى بعينه تمتعهم بحقوقهم في

ضريبة الخمسة في المائة وفي مجالس المديريات فكأن الاقباط بهذا المؤتمر يريدون ان يقيموا الحجة على جناب المعتمد في تمسكهم بمطالبهم . ومن المعلوم ان مثل هذا الامر من شأنه ان يلصق بجناب العميد مسحة التحيز للمسلمين ضد الاقباط وهذه الوصمة تضع من قدره في انظار الانجليز الذين لم يتحرروا الى الآن من سلطة الكنيسة ونفوذها الأدبي العظيم عليهم ولا سيما حزب المحافظين المتناهين في التعصب لكل شيء مسيحي ومن المعلوم ايضاً ان هذه المطالب تريد ان تظهر الحكومة المصرية الاسلامية بمظهر التعصب الديني حتى في الوظائف الادارية وحتى في الحقوق المدنية . فكان من الضروري ان يجيء هذا المؤتمر كحرب سياسية اشهرها فريق الاقباط على الحكومة المصرية باشتراكها طبعاً مع السلطة المحتلة في النظر الى عقد هذا المؤتمر في اسيوط بعين الريبة والتأذي .

﴿ دليل على تسامح المسلمين ﴾

وكانت الحكومة على وشك منع المؤتمر من الالتئام في اسيوط التي يريد الاقباط أن يعتبروها عاصمة لهم

لو لم تقم جرائد العلم والاهالي والجريدة واللواء ومصر الفتاة بالاعتراض على الحكومة وتحذيرها من الاقدام على هذا المنع لانه تعرض لحرية الاجتماع . فدل هذا العمل على مقدار تسامح المسلمين وحبهم للحرية وايثارها على كل عاطفة وكل شعور

﴿ عود الى المؤتمر ﴾

وافتتح المؤتمر في يوم ٦ الجاري تحت رئاسة أحد كبار مموليهم وهو بشرى بك حنا باسم الله وتحت ظل الحضرة الخديوية ووقف نيافة مطران اسيوط مصليا داعيا للمؤتمر بالنجاح مفندا مزاعم المتخوفين من انعقاد المؤتمر في اسيوط . وهذا العمل يدل على ان المؤتمر أخذ صبغة دينية بلا شك وان كان بعضهم يزعم ان هذا العمل من قبيل افتتاح بعض الحفلات الاسلامية بما تيسر من آيات القرآن . وهيهات أن يقارن مؤتمر ينظر كما يزعمون في مطالب حيوية اجتماعية بحفلات مدرسية أو اعياد ومواسم دينية بحتة كرأس السنة الهجرية والاحتفال بالمولد النبوي الى غير ذلك . وهذه مؤتمرات المصريين قد عقدت عدة مرار وما سمعنا ان احدها افتتحت حفلاته بصلاة او بتلاوة شيء من القرآن

وكان المتكلمون في المطالب القبطية هم حضرات المحامين أخنوخ افندي فانوس في عطلة يوم الاحد وتوفيق افندي دوس في التعويل على الكفاءة في التوظف ومرقص افندي حنا في تمثيل الاقلية في المجالس النيابية ومرقس افندي فهمي في فتح خزائن الحكومة للصرف على جميع المرافق المصرية على السواء وحبيب افندي دوس في ضريبة الخمسة في المائة

﴿ نائب الاقباط في لوندرة ﴾

وبينما كان المؤتمر يصادق بلا مناقشة على هذه المطالب ويصفق ويهتف لخطبائه كان قرياقص افندي ميخائيل يدفع بعض الصحف الانجليزية الى تحبيذ أعمال المؤتمر والانتصار لمطالب أبناء طائفته فنجح في عمله نجاحاً لا بأس به ولكنه عديم الجدوى أمام مقتضيات وشؤون السياسة .

﴿ المؤتمر الاسلامي ﴾

وفي هذه الاثناء بلغ تذمر المسلمين واستياؤهم من روح العداء الموجه ضدهم من مواطنيهم الاقباط ورأوا ان السكوت على هذا التحرش والمجاملة الى هذا الحد ضرب من الجبن ان لم نقل هو الجبن بعينه أو هو الموت بلا مراء . وذلك

لان المسألة لم تعد أقوال صحف ولا صيحات افراد وانما اضبحت تنازع البقاء ما بين الاقباط وهم الاقلية والمسلمين وهم الاكثرية . والتراخي في مثل هذه الحال ليس من شأنه أن يوطد السكينة ويوجد الاتفاق ما بين هذين العنصرين ولكنه يفضي الى تمشي روح العظمة والخيلاء في نفوس الأقلية وتماديها في التنقل من مطالب الى سواها . فضلا عن أن قبول المطالب الحاضرة بشكلها الذي صادق عليه المؤتمر ليس له معنى آخر سوى استئثار الاقلية بوظائف الحكومة من صغرياتها الى كبرياتها وادرا كها قوة في المجالس الشبيهة بالنيابة تزعزع أركان الاكثرية وايجاد الفوضى والاختلال في سير الحكومة وقلب نظامها المتبع من سنين عديدة بدون ايجاد نظام اوفق منه وفضل اطفال العنصرين بعضهم عن بعض من اول سنوات الحياة وهذا مفض بلا شك الى تحلل الرابطة القومية والجامعة الوطنية . كل هذه الاسباب وسواها هيأت نفوس المسلمين الى التنادي فيما بينهم لعقد مؤتمر اسلامي يناقض المؤتمر القبطي ويكون صاداً لتيار المؤتمر القبطي الذي يريد اكتساح المسلمين في طريقه والقائهم في اظلم

واتعس مهاوي البؤس والشقاء

وكان ابناء الاسكندرية أسرع شعوراً الى هذه الحاجة فنهضت من بين سرواتها لجنة نشرت نشرة تدعو فيها المسلمين الى عقد مؤتمر ينظر في احوالهم الاجتماعية ويفند مزاعم الاقباط ويبين اوجه الفساد المبنية عليها مطالبهم. فصادفت هذه الدعوة قبولا ولا سيما بعد رؤيه أعيان المسلمين اقرانهم من اعيان الاقباط يتولون أزمة المؤتمر جهاراً

وما اسرع انتقال هذه الدعوة من الثغر السكندري الى عاصمة القطر وتلقى عظماء القاهرة لها بالقبول والاقبال. فكان المؤتمر القبطي يعقد جلساته واللجنة التحضيرية للمؤتمر الاسلامي تتداول في موضوع المؤتمر واغراضه وتسميته الى غير ذلك

وأخيراً تشكلت اللجنة التحضيرية بصفة نهائية من صاحب العطوفة رياض باشا بصفته رئيساً وأصحاب السعادة والعزة محمد الشريعي باشا منصور يوسف باشا على شعراوي باشا حسن مدكور باشا موسى غالب باشا الشيخ على يوسف أحمد لطفي بك أحمد لطفي بك السيد فتح الله بركات بك عبد الحميد عمار بك محمد رفعت باشا محمود سالم بك احمد السعيد

بك محمد توفيق بك الجزائرلي عبد العزيز افندى الغرياني محمد افندي فهمي الناضوري بصفتهم أعضاء وحسن رضوان باشا أمينا للصندوق وابراهيم الهلباوي بك كاتم سر

وقد اجتمعت هذه اللجنة في بيوت بعض اعضائها وبعد البحث والمناقشة رأت ان تسمي المؤتمر «المؤتمر المصري» باعتبار ان المسلمين هم الاغلبية الكبرى في المصريين وليزيلوا عن انفسهم وصمة التعصب التي اكتسبها الاقباط بمؤتمرهم الديني وليشركوا في أعمال المؤتمر العناصر الاخرى التي لا تزال صادقة الوطنية بعيدة عن مزج العقائد الداخلية بالشعور الوطني العام . ولقد أحسن الاعضاء ايما احسان في هذه التسمية . وانتخبت اللجنة ثلاثة من اعضائها لوضع اللائحة الداخلية لاعمال المؤتمر وهم حضرات المحامين المشهورين أحمد لطفي بك وأحمد بك لطفي السيد وابراهيم الهباوي بك

الخطر القبطي

قامت منذ عدة سنين في أوربا قيامة الصحافة ضد الخطر الاصفر أي خطر نهوض العناصر الاسيوية الصفر اءوا كتساحها العناصر الاوربية البيضاء . ولم تكن تلك القومة عن جهل

أو رعونة أو وهم فان العناصر الاسيوية الصفراء تشارف خمسمائة مليون من النفوس اذا استنارت عقولهم وتزودوا بسلاح المدنية الحديثة واستخرجوا من جوف ارضهم كنوز للعادن والاحجار التي لا تزال حتى الآن مخبوءة وشغلوا أراضيهم القاحلة بانواع الزراعات وكثرت النقود بين ايديهم ونفضوا عنهم اثقال الديون الاجنبية لا يلبثون أن يطردوا المستعمرين الاوربيين من بلادهم ويلقوا مصنوعاتهم ومتاجرهم الى ماوراء البحار . وليت الشر يقف عند هذا الحد بل انهم يكرون على القارة الاوربية ويفتتحون بلدانها ويجعلون اعزة اهلها اذلة

وهذه توجسات الاوربيين قد بدأت تتحقق الآن فان العنصر الاصفر أخذ يتحرك من مربضه وتدب فيه علامات الحياة فاليابانيون ضربوا الروسيين براً وبحراً والصينيون نهضوا نهضة قوية يطالبون بالدستور ويقضون على العوائد والنظامات القديمة ويشيدون البوارج والمدرعات وينظمون الجيوش الجرارة ويمدون السكك الحديدية وانتشر مئات الالوف منهم في اوربا وأمريكا ليلتقطوا المعلومات الحديثة والطرق النافعة ويعودوا بها الي بلادهم . فبعد مضي عشر سنوات على هذه

الحالة لا نلبث ان نرى آسيا بأسرها أو على الاقل الشطر الا كبر منها في قبضة العنصر الاصفر . وقد أظهرت الايام ان كل ما يقال من جمود الصفر وغباوتهم وقلة ذكائهم لا نصيب له من الصحة على الاطلاق

كذلك شأننا مع الاقباط فان الخطر القبطي يتهددنا اكثر من تهدد الخطر الاصفر للاوربيين . ان الاقباط متعاضدون نشيطون عندهم شيء من الذكاء واذا شغلوا عقولهم كثيرا ازداد ذكاؤهم فان عقول البشر في الحقيقة متساوية وانما تختلف باختلاف الاحوال . وهم مقتصدون بفطرتهم ومقدمون على الاعمال الجسام فتراهم يرابون ويضاربون ويتاجرون وبالجملة ينتهزون كافة الفرص التي تمكنهم من الربح وتوفير الاموال . واذا خسر احدهم كل ماله او بعضه اقبلوا عليه يساندونه ويساعدونه على استعادة ثروته وانمائها وبالجملة ان الاقباط آخذون في الاستحواذ على ثروة البلاد ومراكزها وعلى اثقال اعناق المصريين باصفاد الذهب . وقد كانوا حتى الآن يجاسنون المسلمين ويداهنونهم ليصرفوا ابصارهم عن حقيقة نياتهم وعن الشعور بأعمالهم . فلما قتل بطرس

غالي باشا لم يسعهم كظم غيظهم فقاطعوا المسلمين وجافوهم دفعة واحدة وبدأت العداوة تظهر من قبل سراتهم وكبرائهم حتى اجمعوا اخيرا على عقد مؤتمرهم

ليس هذا الخطر القبطي من قبيل الاوهام بل هو حقيقة واضحة يؤيدها التاريخ . فقد حدث ان المسلمين حينما فتحوا بلاد الاندلس استخفوا ببقية قليلة من اهالي تلك البلاد فتركوها وشأنها لا يحسبون لها حسابا ولا يوجهون اليها الابصار فلم تمض اكثر من ثلاثة قرون حتى ظهر شأن تلك البقية التي كثر عديدها في غضون هذه المدة حتى اصبحوا يعدون بمئات الالوف واخذوا يناوئون المسلمين حتى أفنوهم عن بكرة ابيهم وجعلوا البلاد مملكة مسيحية هي اليوم دولة اسبانيا الكبيرة

فنحن اذا سكتنا الآن على مطالب الاقباط وقلنا هذا عنصر صغير حقير لا شأن له او اذا قلنا هذا جزء منا ينبغي أن نجامله ونمازجه ونجيبه الى مطالبه فاننا لا نأمن شر تطوحه وراء اماله الاخرى وهو في ثمل الفوز ونشوة السرور فلا يزال يتبع المطالب بسواها حتى اذا رفضت بعض مطالبه في الايام المقبلة وكان قد ازداد قوة وتمكنا من شؤون البلاد

غضب واستفزته عزة النفس وصولة المقدرة على التحرك بالفعل لتنفيذ ما آربه بحد السيف وبنار البندقية والمدفع

فمن الواجب اذن ان نمنع تمثيل هذه الرواية التاريخية من هذه البلاد . فانما جعل التاريخ عبرة ومن لم يعتبر كان من جزائه ان يلقى كل ما حل به من العذاب والهوان

﴿ مناقشة المطالب ﴾

والآن لا داعي الى اطالة الكلام في هذا الصدد فان رجال المؤتمر متمكنون من التاريخ وهم ادرى بحقائق الامور . والذي يجب علينا بعد ان بسطنا حقيقة المسألة القبطية ان نناقش مطالب مواطنينا الاقباط لا لعلمنا بأنهم سيقتنعون بهذه المناقشة ولكن لاجل اقامة الحجة عليهم فقد اعذر من انذر .

ان المطلب الاول فضلا عن كونه تافها وعن ان اجابتهم الى تحقيقه مبقولة شكلا فان المسلمين ليس لهم يوم راحة ديني والعقيدة الاسلامية لا تعلم الناس الكسل يوماً او بعض يوم ولم يكن في صدر الاسلام ايام عطلة وانما الواجب الديني يقضي فقط على المسلمين بتأدية فريضة الجمعة جماعة ثم ينصرف كل فرد منهم الى عمله وفضلا عن ذلك كله فلا يمكن تنفيذه

بالفعل لانه يوجد ارتباكا في سير اعمال الحكومة . وقواعد النظام الاجتماعي تقضي على الحكومات ان تسير على وتيرة واحدة فالحكومة المصرية ينبغي ان تلتزم البطالة يوما واحدا في الاسبوع وليس من المعقول أن يقدم اليوم الذى تتخيره احدى الاقليات على اليوم الذي تتخيره الاكثرية . ومن المعلوم ان الاقباط لا يتخطون تسعة في المائة على اكثر تقدير من مجموع الامة المصرية فاذا لم يجابوا الى هذا المطلب لم يكن هنالك مساس بحقوق الاقباط لان حكومة البوسنة والهرسك التي يعادل رعاياها المسلمون ٩٥ في المائة من عدد الاكثرية المسيحية لا تعطل اعمالها يوم الجمعة لاجل المسلمين وحكومة كريد التي يبلغ عدد مسلميها اكثر من الربع والتي لا تزال تابعة للدولة العثمانية لا تستريح يوم الجمعة اكراما للمسلمين وكذلك حكومة البلغار وسواها من الحكومات ثم ان شكل الطلب يشعر بانه يرمى الى غاية دينيه لا الى حق مدني

ان المطلب الثاني ينبغي أن يتمسك به المسلمون لانه أول وأهم ماينبغي أن يطالب به المؤتمر المصري . اننا لا نقول كما نزعم البعض ولا سيما الانجليز ان الاقباط غير اكفاء

لتولى ازمة بعض الوظائف الكبيرة ولكننا نريد فقط ان
تقرر مبدأ علميا لايجادل فيه الا من كان جاهلا بعلم النفس
دلت التجاريب وشهدت التوريخ على ان الشعوب المستضعفة
لاتوجد فيها قوة الارادة ولا حدة الذكاء بل تتوالدان فيها
بالاحتكاك ومزاولة العمل والتفكير شيئاً فشيئاً والاقباط قد
مضت عليهم الاجيال الطوال وهم مستعبدون حتى الفت
نفوسهم الاستكانة فهم اذا تولوا الاعمال حملوا غيرهم على الذل
فهم كالجياد التي تمنع من السير مدة طويلة فاذا خرجت من
اصطبلاتها تجمح ولا يستطيع قادتها ان يسلسوا قيادها الا
بمنتهى الصعوبة وقد تؤذي أو تهلك هؤلاء القادة . وأقرب
دليل على هذه النظرية ماصدر من بطرس غالي باشا يوم
تهجم على نواب الامة وجبههم بقوارص الكلام وما يفعله
الرؤساء منهم في مصالح السكك الحديدية والبريد وسواها
من ضروب التحكم والتشديد وعدم اتباع الاوامر والنظامات
فكان من الضروري ان يتدرج الاقباط في تولى المناصب العالية
على ان هذا التدرج لم يحدث والذي حدث هو تولية بطرس
غالى باشا واسكندر فهمى باشا وقلين فهمي باشا ونجيب غالى

باشا وسواهم أهم المناصب الرئيسية دفعة واحدة وهذا يدل على مقدار تسامح المسلمين وعدم سيرهم على قواعد الاجتماع ولو كان المسلمون يراعون مصالحهم ويتبعون سير الحركة الاجتماعية في جميع الاقطار لعملوا بما ذكره احد كتاب الاوربيين الذي نشر في صحيفة اوربية تصدر بالقاهرة مانصه : « هل يرضي المسلمين ان يكونوا متعصبين تعصب المانيا التي لم يرق فيها يهودى في الجيش منذ سنة ١٨٨٥ الى رتبة ضابط او تعصب روسيا التي قرر مجلس نوابها اخراج جميع اليهود من جميع الوظائف العمومية ؟ الخ » بل لعملوا مثلما تعمل امريكا مع السكان الاصليين او الترنسفاليين مع ابناء تلك البلاد ولكن المسلمين ساعدوا الاقباط على استغراق وظائف الحكومة ودوائر اغنياء المسلمين حتى لم يبق متشرد قبطى واصبحت الطرق غاصة بمتشردى المسلمين وبائسيهم

واما النسبة العددية فهذه قد ضاع حسابها من زمان حتى صار قلم كتاب هندسة السكة الحديد محتوياً على اربعة من المسلمين و٥٦ من الاقباط وحتى صار عدد الموظفين المسلمين في نظارة الداخلية ٢١٤٧ مرتباتهم الشهرية ٢٠٧٩٦ جنيها

مقابل ٣٨٦٧ من الاقباط مرتباتهم ٢٠٧٦٢ وحتى اكد المسيو كولرا رئيس تحرير الاجيبت ان ما يخص الاقباط من ميزانيه المرتبات يبلغ ٥٦ في المائة أي اكثر من النصف !!

ان المطلب الثالث خليق بان يصدر من الاسرائيليين أما من الاقباط فلا لان لهم في المجلس ثلاثة اعضاء دائمين مختارين برغبة الحكومة وليس فى وسع الحكومة ان تجبر الاهالى على انتخاب من لم تتوفر فيه شروط ثقتهم به . على انه ليس للاقباط من الحقوق الخاصة ما يدافعون عنه سواء في مجلس الشوري أو الجمعية العمومية او مجالس المديريات بصفتهم مسيحيان

أن المطلب الرابع لا يدل على تسامح من جانب الاقلية مع الاكثرية بل يدل على انهم يريدون اخذ ما دفعوا من الخمسة في المائة وتعليم ابنائهم في كتاتيبهم بغض مواطنيهم المسلمين والعمل على سحقهم . وهل تعلم في مدارس وكتاتيب انجلترا وروسيا والمانيا وسواها من البلاد التي لا تزال مازجة تعليمها بروح التعاليم الدينية عقائد الاقليات ؟ ذلك ما ليس له ظل من الحقيقة . وغاية ما يمكن قبوله هو اعفاء الاحداث

المسيحيين من حفظ القرآن

ان المطلب الخامس لا يتفق مع انفصال الاقباط بمجالسهم الملية وكنائسهم واوقافهم . وهنالك فرق كبير بين المسلم الذي يموت من غير عقب وبين القبطي الذي يموت كذلك فان الحكومة ترث الاول والبطرياركية ترث الثاني . فاذا سلم الاقباط ازمة شؤونهم باسرها الى الحكومة وتركوها تتصرف فيهم تصرفها في شؤون المسلمين فهنالك يكون لهم الحق في هذا المطلب

﴿ الخاتمة ﴾

يستخلص من هذه المطالب ان الاقباط يريدون ان يكوّنوا وحدة دينية خاصة بهم وانهم يطمعون في سائر وظائف الحكومة بدون تنقيص عدد الموجودين منهم وانهم يريدون تحقيق النسبة العددية بين أعضاء المجالس النيابية المنتخبين بارادة الشعب في حين انهم يرفضونها في وظائف الحكومة

فاذا كان المؤتمر المصري يريد حقيقة العدل والانصاف فعليه اولا المطالبة بوضع الكفاءة العلمية شرطا للتوظف كما فعلت مصلحة السكة الحديد اخيرا اذا طلبت من نظارة

المعارف امتحان المتقدمين لبعض الوظائف الكتابية لديها وكان المتقدمون يعدون بالمئات فكان الفائزون باجمعهم من المسلمين . . . وهذا الامتحان حدث في شهر يناير الاخير .
ثانياً السعي في تحرير رقاب الفلاحين والمزارعين الغارقين في لجج الديون ذات الربا الفاحش التي غمرهم فيها الاقباط .
ثالثا النظر في ترقية مدارك المسلمين واكثار عدد المتعلمين منهم حتى تكون النسبة محفوظة بين العنصرين الكبيرين المتزاحمين

وقبل الانتهاء اقول ان الاقباط ينسبون عقد المؤتمر الاسلامي الى عطوفة رئيس الوزارة ومع استبعادنا هذا الامر بل اعتباره مستحيلا فان تحققه يرفع من شأن هذا الوزير الجليل

وقد أفاد الاقباط الانجليز بازالة شيء من النفار الشديد الذي كان مستحكم الحلقات بين عميدهم وبين السواد الاعظم من المسلمين



(الاستاذ الشيخ عبد العزيز شاويش)